النهج الشعوبي لدى البرامكة

د. صالح رمضان حسن
معهد اعداد المعلمين - الموصل

تاريخ تسليم البحث : ٢٠٠٩/١١/١٧ ؛ تاريخ قبول النشر : ٢٠١٠/٢/١٨

ملخص البحث :

تناولت هذه الدراسة تمهيدا تضمن : تقديم تعريف للشعوبية وبيان أساليبها وأهدفها ، ثم تطرق إلى التعريف بأسرة البرامكة منذ بدايات ظهورها على مسرح الأحداث ، والاشارة إلى أهم الأدوار التي قامت بها في العصر العباسي إلى عهد الخليفة هارون الرشيد بصورة موجزة .

ثم الانتقال إلى تشخيص ابرز اعمالها وممارساتها التي تنسجم مع التوجهات الشعوبية، والتي منها العمل على احياء الثقافة الاعجمية لا سيما التاريخية منها والأدبية وتشجيع ترجمتها إلى اللغة العربية ، واحتضان المترجمين والكتاب ذوي الميول الشعوبية من الفرس خاصة لإعلاء شأن الحضارة الفارسية ، وفي القوت نفسه العمل على الحط من مكانة العرب ودورهم وثقافتهم بتأليف الكتب في ذمهم والسخرية من عاداتهم وتقاليدهم .

كما احتضن البرامكة الشعراء من ذوي الميول الشعوبية ليقوموا بدور الدعاية لهم ولثقافتهم الاعجمية بين أوساط الرأي العام ، كما عملوا على زعزعة مفاهيم العقيدة الإسلامية تحت شعار حرية الرأي ومجالس الشرب والمؤانسة وتقريب عناصر متهمة بالزندقة والإلحاد وغيرهم ، وكذلك القيام بنشاطات سرية ذات طابع عرقي من خلال مجالس لا يحظرها سوى الفرس ، فضلا عن تفضيل بني جنسهم لاستلام الوظائف المهمة في الدولة ، وظهور ميلهم إلى الديانة المجوسية مما جعل اصابع الاتهام توجه لهم بالزندقة .

ومن جانب آخر فانهم سخروا أموال الدولة لخدمة أغراضهم والإنفاق بسخاء على أتباعهم دون مراعاة مصالح عامة الناس وحقوقهم ، كما عملوا على اضعاف وحدة دولة الخلافة العباسية بإحداث الخلاف والشقاق بين ابناء الخليفة خدمة لمصالحهم الأنانية والعرقية .

Al – Shoabyia from the point of view of Al- Barameka

Salh Ramadhan Hasan
Teacher's Training Institute -Nineveh

Abstract:

This study deals with an introduction which includes : giving a definition for AL Shoabyia and showing its purposes and ways, then it handles in brief the definition of AL Barameka family since the beginning of its appearance indicating the most important roles which this family made in the Abbassid era till the time of Harron AL Rasheed caliph.

Then turning to check its most prominent achievements harmonized with AL Shoabyia’s ideas, including refreshing foreign culture especially in its historical and literary fields and encouraging translating it into Arabic language, and taking care of Al-Shoabyian translators and writers especially the Persian ones to increase the rank of their civilization, and at the same time working to disfigure the Arabs in their role and culture by authorizing books which disrespect their habits.

Moreover, AL Barameka closed the poets of their same tendencies to make advertisement to their movement and culture among general people, and worked onto destabilize the concepts of Islamic belief under the motto of free opinion and gathering of drinking and enjoyment and approaching members accused by Zanddakka (hypocrisy) , atheism and others, as well as performing secret activities of racial nature during special assemblies attended by the Persian only, in addition to their preference to appoint people of their race in important positions in the country and showing their tendency to the MaJoos (fire believers) religion which led them to be accused by atheism.

From another side, AL Barameka members utilized the money of the country for their services and spend generously on their followers without taking care of the public interests and rights, and acted on weakening the unity of the Abbassid succession by making controversy and division among the Caliph’s sons to secure their own racial and selfish benefits.

المقدمة

تمخض عن أبعاد أسرة البرامكة عن السلطة في عهد الخليفة هارون الرشيد ، إثارة زوبعة من التكهنات والأقاويل والروايات والأساطير بقيت موضع جدل ونقاش لاتستند إلى مبررات علمية تتماشى مع حقائق الأمور ومقتضيات العقل والمنطق السليم .

ومن أجل تحديد نطاق هذا البحث بدقة ، فقد تم التركيز فيه على سلوك وأعمال يحيى بن خالد بن برمك وولديه جعفر والفضل بعد استلامهم إدارة الدولة العباسية في عهد الخليفة هارون الرشيد خاصة ، تلك التصرفات التي ذكرتها العديد من المصادر التاريخية ، والتي تنم عن ألاستهانة بالخلافة وهدر المال العام بإسراف ، فضلا عن ميل واضح للثقافة الفارسية المجوسية، وتقريب أبناء جلدتهم والمعادين للعروبة والإسلام من العناصر الشعوبية المعروفة.

واستنادا لتلك الحقائق والمسلمات تأتي هذه المحاولة لمتابعة وتقصي ابرز الأفعال والتصرفات المثيرة للشك والريبة لهذه الأسرة التي تتقاطع مع المصلحة العليا للخلافة العباسية، وتتناقض مع ثوابت عقيدتها الإسلامية .

ابتدأ البحث بتمهيد تم التطرق فيه إلى تعريف الشعوبية وبيان مفهومها وأهدافها باختصار، كما قدم – أيضاً – تعريفاً للبرامكة ومتابعة نشاطاتهم منذ ظهورهم على مسرح الأحداث وحتى عهد الخليفة هارون الرشيد بإيجاز .

ثم تناول البحث بالدراسة والتحليل مجمل أعمال أسرة البرامكة وتصرفاتها خلال هذا العهد : من الميل للثقافة الأعجمية وترجمتها ونشرها وتقريب الكتّاب ذوي الميول الشعوبية والمعروفين بكرههم للعرب وثقافتهم ، وإغداق الأموال على الشعراء وتشجيعهم لبث الدعاية لهم ولحضارتهم الفارسية ، وتشجيع الآراء والاتجاهات المخالفة لأسس الدين الإسلامي تحت غطاء حرية الرأي ومجالس اللهو، لإثارة الشك وبلبلة الأفكار حول مفاهيم الشريعة فضلاً عن رعاية مجالس خاصة ذات طابع عرقي ، مع إسناد الوظائف المهمة في الدولة لبني جنسهم .

تمهيد

مفهوم الشعوبية :

من أجل بيان التشابه بين منطلقات الشعوبية وممارسات أسرة البرامكة، تطلب الأمر تقديم تعريف لهذا التيار وتوضيح مفهومه وأساليبه وأهدافه _ بصورة مختصرة _ بالقدر الذي يخدم موضوع الدراسة.

أوردت معاجم اللغة تعاريف للشعوبية منها : ((الشعوبية لا تفضل العرب على العجم، والشعوبي الذي يصغر شأن العرب ولا يرى لهم فضلاً على غيرهم))[١] ، ويعرفه أخر بقوله:

((الشعوبي بالضم محتقراً أمر العرب))[٢] ، ويفسر اشتقاقها اللغوي من كلمة (شعب) مصدر لفظة الشعوبية بمعنى فرّق أو شتت أو جزّء[٣] .

وهناك من يرى أن كلمة الشعوبية استمدت لفظها من القران الكريم بالاستناد إلى الآية ١٣ من سورة الحجرات ((يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله اتقاكم، إن الله عليم خبير))[٤] .

لكن الشعوبية في حقيقة أمرها خرجت عن مفهوم المساواة التي نادى بها الإسلام وتسترت به الى تحقير أمر العرب وهدم الإسلام واتخذت من مبادئه السامية وسيلة وغطاءَ للوصول إلى أهدافها ((وقد تجلت هذه النظرة في الشرق عند الفرس .... بأمر يتعلق بألاسرة الحاكمة وبالسياسة، وكانت أيضاً بالنسبة للفرس شيئاً يصطبغ بصبغة الدين وينطوي على المروق والزندقة))[٥]

لذلك انضوت الحركة الشعوبية في بداية أمرها تحت شعار أهل التسوية، وأصبح ذكرها مقترناً بها، كما جاء على لسان الجاحظ بقوله : ((نبدأ على إسم الله بذكر مذهب الشعوبية ومن يتحلى باسم التسوية))[٦]

وعن حقيقة الشعوبية يقدم الجاحظ وصفاً دقيقاً وبارعاً بقوله : ((وأعلم أنك لم ترقط أشقى من هؤلاء الشعوبية ولا أعدى على دينه، ولا أشد استهلاكا لعرضه، ولا أطول نصباً ولا أقل غنماً من أهل هذه النحلة، وقد شفى الصدور فهم طول جثوم الحسد على أكبادهم، وتوقد نار الشنآن في قلوبهم وغليان تلك المراحل الغائرة وتسعر تلك النيران المضطرمة))[٧]، ويضيف الجاحظ في موضع أخر بقوله : ((فأما عامة من أرتاب بالإسلام أنما جاءه هذا عن طريق الشعوبية، فإذا أبغض شيئاً أبغض أهله، وإذا أبغض تلك اللغة أبغض تلك الجزيرة، فلا تزال تلك الحالات تنتقل به حتى ينسلخ من الإسلام إذا كانت العرب هي التي جاءت به وكانوا السلف))[٨]

ويوضح كاتب آخر من الرواد حقيقة الشعوبية وزيف اعتناقها للإسلام بقوله : ((إن الشعوبية نتيجة الحسد، وهي تدفع العرب من كل فضيلة وتلحق بهم كل رذيلة، وتغلو في القول وتسرف في الندم، وتكاد تكفرّ ثم يمنعها السيف، وتغص من النبي (ص) إذا ذكر بالشجا وهي تبعد من الله وتفرط في الحسد))[٩] .

ويصف الزمخشري الذين يكرهون العرب ولغتهم كيف ينتهي بهم المطاف الى تبني الشعوبية، ثم التدرج من حالة الى أخرى الى مجافاة الحق والخروج من الإسلام بقوله : ((ولعل الذين يغضبون من العربية ويضعون من قدرها ويريدون أن يخفضوا ما رفع الله من منارها، حيث لم يجعل خير رسله وخير كتبه في عجم خلقه ولكن في عربه لا يبعدون عن الشعوبية منا بذة للحق ألا بلج وزيفاً عن سوء المنهج، والذي يقضي منه العجب حال هؤلاء في قلة إنصافهم وفرط جورهم واعتسافهم))[١٠]

لا يختلف المؤرخون المحدثون في تعريف الشعوبية وبيان أساليبها وأغراضها عما ذهب إليه الرواد من المفكرين والكتاب من حيث الإطار العام لمفهوم هذه الحركة، فيرى بعضهم أنها ((الطائفة التي تفضل الأجناس الأخرى على العرب))[١١] ، ويذهب أخر أن الشعوبية ((فرقة من الناس ذهبوا إلى تصغير شأن العرب، وأنهم لا يرون لهم فضلاً على غيرهم))[١٢] .

ويعطي مؤرخ أخر مفهوماً أكثر دقة للشعوبية بقوله: ((إن مفهوم الشعوبية شديد التعقيد ....إذ هي تتظاهر بالإسلام وتعمل على هدم السلطان العربي وعلى هدم الإسلام، أو الاتجاهات التي تحاول نسف الإسلام والعرب من الداخل)) ، ويضيف في وصف تلك الحركة أنها تمثل ((اجتماع الجهد الذي بذلته فئات متعددة لزعزعة السلطان العربي، أو لإضعاف الإسلام وإرباكه))[١٣] ، ويصفهم مؤرخ أخر بأنهم : ((قوم متعصبون على العرب يفضلون عليهم العجم))[١٤] .

ويذهب البعض في فهم الشعوبية بالتركيز على النشاط الثقافي والأدبي بقوله : ((تمثل طبقة الكتاب لغرض سيطرة تقاليد البلاط الفارسي وليس هذا فحسب بل لكي يبعثوا البناء الاجتماعي الفارسي القديم بكل ما يحويه من مراتب طبقية متمايزة لكي يحلو روح الثقافة الفارسية محل ما خلقته التقاليد العربية من مؤثرات في المجتمع المدني بسرعة في العراق، وسبيلهم إلى ذلك أن ترجموا للناس كتباً فارسية الأصل تلقى بينهم ذيوعاً ورواجاً))[١٥] .

ويعطي الأستاذ فاروق عمر فوزي وصفاً أشمل لمفهوم هذه الحركة بقوله : ((الشعوبية حركة فكرية اجتماعية قامت بها جماعات غير عربية بهدف ضرب الكيان العربي من خلال ثقافته وإرثه الحضاري، وذلك بالتقليل من شأن اللغة العربية، ومهاجمة التراث العربي الإسلامي، والتشكيك بدور العرب التاريخي والاستهزاء بالقيم والمثل العربية مقابل الاعتزاز بالإرث الحضاري الأعجمي، والتمجيد بالقيم والسجايا غير العربية وأحياء الثقافات الأعجمية))، ويضيف إلى أن الشعوبية استهدفت الإسلام في الصميم بسبب الترابط بينه وبين العروبة، من خلال محاولات بث روح التشكيك في قيمه ومبادئه السامية ونشر روح الاستخفاف والاستهتار عموماً تحت ستار الظرف والمجون[١٦]

وأخيراً نجمل مفهوم الشعوبية بأنها حركة فكرية ذات مضامين عرقية ودينية ترمي إلى تحقيق أهداف سياسية، نشطت بين فئات غير عربية _ لا سيما الفرس _ عز عليها انهيار كيانهم السياسي وتراجع واضمحلال منظومتها الثقافية والعقائدية وتقاليدها القديمة أمام المد الحضاري الجديد للعرب المسلمين، فتظاهر بعضهم الدخول في الإسلام لا عن أيمان وصحة اعتقاد، وفي الوقت نفسه بقوا على صلة بماضيهم وحنين متواصل لإحيائه، فتغلب على هؤلاء التعصب العنصري فأعمى بصيرتهم، ثم انطلقت تحت غطاء الإسلام إلى تشويه كل ما هو جميل لدى العرب وطعن ماضيهم وحضارتهم وأمجادهم، ولما كان الإسلام أعظم ما حمله العرب

إلى الإنسانية فقد استهدفوه بوسائل خبيثة لتشويه مبادئه السامية للقضاء على السيادة العربية بسبب العلاقة الصميمية التي أصبحت تربط العرب بالإسلام، وبعكسه التركيز على نشر الثقافات الأعجمية والعمل على أحيائها وإحاطتها بهالة من العظمة والمجد مع الاستمرار في الحط من قدر العرب وإمكانياتهم، بتأليف الكتب التي تذمهم لتغليب حضارتهم وتقاليدهم تمهيداً لنزع السادة عن العرب وإعادتها إلى العجم .

من هم البرامكة :

ليس القصد هنا الكلام عن تاريخ أسرة البرامكة ودورها مفصلاً، بل تقديم تعريف موجز عنها وعن أهم المحطات التي مرت بها إلى استفحال دورها في عهد الخليفة هارون الرشيد

البرامكة أسرة فارسية مجوسية قامت على خدمة بيت النار قبل الإسلام، وهي تنسب إلى جدها برمك وهو من ((مجوس بلخ وكان يخدم النوبهار وهو معبد كان للمجوس بمدينة بلخ توقد فيه النيران، وأشتهر برمك وبنوه بسدانته، وكان برمك عظيم القدر عندهم، ولم أعلم اسلم أو لا))[١٧] .

ويفهم من روايات أخرى أن برمك ليس أسم شخص بل لقب كان يطلق على سادن المعبد وهو منصب وراثي، يتمتع القائم عليه بحيازة الأراضي الملحقة بالمعبد، وقد بقيت جزء من هذه الأراضي بحوزة البرامكة إلى عهد متأخر[١٨].

ومما تجدر الإشارة إليه هنا ما ذكره أبن الفقيه بأن معبد النوبهار هذا كان مخصصاً لعبادة الأوثان وليس من بيوت النيران[١٩] ، وأن صح هذا القول فمن المحتمل أن تحول هذا المكان فيما بعد إلى معبد مجوسي لعبادة النيران.

لقد حاول الشعوبيون الفرس أن يرفعوا من شأن هذه الأسرة لأسباب لا تخفى، فجعلوا من المعبد البوذي بيتاً من بيوت النيران، ولا ريب أن هذه المزاعم لم تنشأ قبل عهد الخليفة هارون الرشيد، ومن المحتمل أن ابن المقفع _ وهو فارسي الأصل _ وضع أقوالاً كهذه[٢٠] .

ومن المعروف أن خالد بن برمك لم يكن له من النفوذ أيام أبي العباس والمنصور ما كان لأبنه يحيى في عهد هارون الرشيد، ولكن مكانته وكرمه الذي جر المنافع على أهل بيته جميعاً كانا يغريان بوضع الروايات الفارسية التي تعظم من شأن البرامكة، فالمعلومات الواردة عن برمك أبي خالد وأسلافه تعد روايات أسطورية[٢١] .

وقبل أن تلتحق هذه الأسرة بخدمة العباسيين ويشتهر أمرها فيما بعد، وردت نتف من أخبارها في عصر الدولة الأموية، عند الإشارة إلى غارة قتيبة بن مسلم الباهلي عام ٨٩ هـ على مدينة بلخ[٢٢] .

بدأت أسرة البرامكة تنشط تدريجيا في حياة خالد بن برمك الذي أرسى قواعد العلاقة مع العباسيين ثم أخذت تتوطد الروابط الأسرية بينهما، فقد آنضم إلى الدعوة العباسية ضد الدولة الأموية وصار من أتباع أبي مسلم الخراساني [٢٣]، وقد شارك في العديد من الحملات العسكرية تحت أمرة القائد قحطبة بن شبيب الطائي[٢٤].

وبعد إعلان قيام الدولة العباسية بدأت أسرة البرامكة تضع أولى خطواتها نحو الشهرة والنفوذ، فقد برز أسم خالد بن برمك منذ اليوم الأول لبيعة أبي العباس السفاح بالخلافة، وقد نال بدهائه ولباقته الحظوة لديه وقلده العديد من الوظائف المهمة في الدولة حتى أسند إليه منصب الوزارة بعد إزاحة أبو سلمه الخلال منها[٢٥].

وبعد تولي أبو جعفر المنصور منصب الخلافة تغيرت مكانة خالد فأبعد عن الوزارة وعيّن عاملاً على إقليم فارس، ثم تغيّر عليه المنصور وأتهمه بالفساد ((وصرف خالد عن فارس ونكبه وألزمه ثلاثة آلاف الف درهم)) [٢٦] وكاد أن يبطش به عام ١٥٨هـ ((ونذر دمه فيها وأجله ثلاثة أيام)) لولا توسط بعض أصدقائه لدى المنصور [٢٧].

وبسبب حزم المنصور وقوة شخصيته أيقنت أسرة البرامكه بعدم القدرة على تحقيق مآربها، لذلك أخذت تلقي بثقلها إلى جانب المهدي، وعمل خالد بن برمك بجد وحماس لإسناد ولاية العهد إليه، وقد دبر مخطط لأبعاد ولي العهد عيسى بن موسى[٢٨] الذي كان يشكل عقبة كأداء لإتمام هذه الرغبة .

وبعد وفاة أبي جعفر المنصور أتسع نفوذ البرامكة وزاد اعتماد الخليفة الجديد عليهم، ففي عام ١٦١ هـ أمر المهدي بأن يتولى يحيى بن خالد أمور هارون بدل وزيره إبان بن صدقة[٢٩] ، فكانت هذه فرصة جديدة لامتلاك عاطفة وعقل الأمير الصغير لاسيما وانه أرتبط معهم بأخوة الرضاعة، والاهم من ذلك الإشراف على إعداده لمنصب الخلافة مستقبلاً ضماناً لاستمرار نفوذهم وسيطرتهم .

استغل البرامكة متانة العلاقة مع الخليفة المهدي واخذوا يعملون على إبراز مكانة هارون وإعلاء شأنه لدى الخليفة وفي أعين الناس لاسيما بعد أن أصبح أخوه موسى الهادي ولياً للعهد ولإسناد ولاية العهد إليه أيضاً من خلال أقناع المهدي بتولي الرشيد بعض الحملات العسكرية ضد الروم[٣٠] وبعد ذلك أستحصال موافقة الخليفة على تولية الرشيد القسم الغربي من الدولة العباسية[٣١] أي توليهم فعلياً التصرف في هذه الأقاليم، وبذلك زرعوا بذرة الحقد والكراهية بين الأخوين ومهدوا لتقسيم أوصال الدولة العباسية .

لكن ربيع النفوذ المتنامي للبرامكة في عهد الخليفة المهدي أعقبه خريف عاصف كاد أن يطيح بسلطانهم وطموحاتهم في عهد الخليفة موسى الهادي، حيث بدأ نفوذهم يتراجع بل يسير في طريق مسدود فهو لم يستعن بهم في أعماله لسخطه عليهم وعدم ارتياحه لنواياهم، فأخذوا

يشعرون أن ما بنوه في سبيل توطيد العلاقة بين الأسرتين _ كوسيلة لضمان سيطرتهم على مقدرات البلاد _ بات مهدداً بالضياع .

وهذا مما دفعهم على الالتصاق أكثر بـ هارون الرشيد واعتبار ذلك بمثابة حبل الإنقاذ لمستقبل طموحاتهم ومصيرهم، فاستماتوا في إقناع الرشيد بعدم التنازل عن ولاية العهد لاسيما بعد محاولة الخليفة موسى الهادي أخذ البيعة لأبنه جعفر وخلع الرشيد منها عام ١٧٠ هـ ، ومما جاء في تحريض يحيى بن خالد للرشيد ومنعه من التنازل قوله: ((أنها الخلافة ولعل ما تقدر ما يبقى لك لا يبقى ولم يزل به حتى ثبته))[٣٢] .

لاشك أن الخليفة موسى الهادي كان يدرك خطورة إحاطة البرامكة بأخيه هارون الرشيد، وأخذ يشدد عليهم ويزيد من مراقبتهم ولاسيما يحيى بن خالد الذي كانت تحوم حوله الكثير من الشكوك بسبب تحركاته المريبة، وقد أفضى الخليفة إلى خاصة جلسائه بقوله: ((لقد تأذيت بهذا الكلب الملحد يحيى بن خالد ليس له شغل إلا تضريب الرجال عليّ وتجذيبهم إلى صاحبه هارون يريد أن يقتلني ويسوق الخلافة إلى هارون))[٣٣] ، وهذا يمثل رأي العديد من القادة العرب وكبار رجال الدولة، وقد عبروا عن ذلك قائلين : ((ليس عليك من أخيك خلاف أنما يحيى يفسده))[٣٤] ، وقام الخليفة باستدعائه وهدده قائلاً : ((قد أفسدت عليّ أخي والله لأقتلنك))[٣٥] .

وحينما شعر موسى الهادي باستمرار تحرك يحيى في الخفاء ودفع الرشيد إلى مغادرة بغداد، أرسل في طلبه وقال له : ((أتمنعه من التنازل عنها ؟ وتأمل أن يكون الأمر له ولك بجانبه والله لأزهقن أنفاسك وأنفاسه)) ثم أمر بسجنه[٣٦] .

وفي هذه اللحظات الحرجة تحرك البرامكة وأتباعهم لاسيما في بلاط الخلافة للتخلص من الخليفة مستعينين بنساء القصر تحت أشراف الخيزران[٣٧] ، وبذلك كانت مؤامرة اغتيال موسى الهادي انقلاباً مفاجئاً رجحت كفة النفوذ الفارسي بزعامة البرامكة .

جاءت وفاة الخليفة _ التي شابها الغموض _ واعتلاء هارون الرشيد منصب الخلافة لتمثل قفزة نوعية كبيرة وحاسمة لصالح البرامكة وأتباعهم على تحقيق الأهداف والطموحات البعيدة التي كانوا يسعون إليها وخططوا لها بأحكام، وغامروا من أجل بلوغها لتنصيب الخليفة الجديد لأن ذلك بمثابة انتقال مقدرات الدولة العباسية إلى أيدي البرامكة لأنهم أصبحوا الحكام الفعليين للبلاد منذ اليوم الأول لخلافة هارون الرشيد وفي مقدمتهم يحيى بن خالد وأبنيه جعفر والفضل الذين استبدوا بالحكم وسخروا موارد الدولة لخدمة أغراضهم ومصالحهم مدفوعين لتحقيق طموحاتهم ومآربهم الشخصية والعنصرية مستهينين بهيبة الخلافة ومكانتها العربية الإسلامية، وقد عبر البرامكة عن ذلك بمواقف منها رد جعفر بن يحيى على أحد ناصحيه بعدم التمادي والغرور والتطاول على الخلافة بقوله : ((إن الرشيد اعجز من أن يسيئ ألينا، وانه والله ما أكل الخبز إلا بنا وان دولته لم تقم إلا على أكتافنا))[٣٨] ، وقال في مجلس أخر : ((والله لأن كلفنا [

يعني الرشيد] بما لا نحب ليكونن وبالاً عليه سريعاً))[٣٩] ، ونقل عنه في مجلس أخر ضمه مع وجوه خراسان وأشرافها رداً على رجل مدح أبا مسلم الخراساني وكيف إستطاع نقل الخلافة من بني أمية إلى بني العباس قائلاًُ: ((لا يستغرب ذلك منه، ولا فضل له به وقد سفك دماءً كثيرة، وإنما الرجل ينقل الدولة من قوم إلى قوم بدون إراقة محجم دم))[٤٠].

مظاهر النهج الشعوبي لدى البرامكة:

كانت أسرة البرامكة تتصرف بوعي لبلوغ أهدافها وغاياتها بعدما أصبحت مقدرات الدولة العباسية بأيديها في عهد الخليفة هارون الرشيد، وهي تدرك تماما ما للمال من أهمية في تحقيق الأهداف وبناء الأمجاد الشخصية واصطناع الأعوان والأصحاب، كما كانت تعرف أيضا أهمية الإعلام لجعلها محط الإعجاب والتقدير والقبول من قبل الرأي العام، من خلال نشر وبث أخبار الأعمال والتصرفات التي كان يقوم بها أفراد هذه الأسرة أمام الأشهاد، لمل لها من اثر في إثارة مشاعر الافتتان والتعظيم وشيوع السمعة الطيبة بين الناس، لذلك ركزت هذه الأسرة على اختيار شعرائها بدقة من الذين يمتلكون الموهبة على وصف تلك الأعمال والمبالغة في تضخيم الأحداث وذكر محاسن الممدوح، لما للشعر من ميزة الانتشار بين الناس والانتقال من مكان إلى أخر.

كما لجأ البرامكه إلى اصطناع الكتاب والأدباء للإشادة بدورهم وحكاية الروايات التي تقرب من الأساطير حول أفعالهم، وبذلك شاعت أخبارهم وانتشرت بين أوساط العامة والخاصة، وأخذت هالة الإعجاب والتقدير تزداد بمرور الزمن وتنتشر من مكان إلى أخر لما للخيال من قدرةً على الوصف والتضخيم والإضافات، ولما للنفس من هوى في سماع حكايات وروايات المبالغة والتهويل في مجالس السمر وذكر الأخبار، فضلا عن تأثير الميول على تزويق الحقائق وحرفها عندما يكون متعاطفاً مع هذه الأسرة بسبب المصلحة أو الاتجاه الفكري والسياسي لتلك الأسرة إلى جانب النعرة العرقية.

هذه الأمور جميعها أحاطت أسرة البرامكة بنوع من الضبابية وعدم الوضوح إلى حد التناقض بين منتقديها ومؤيديها، لذا سنحاول من خلال هذه الدراسة تبيان طغيان نفوذ البرامكه في عهد الخليفة هارون الرشيد مع ذكر لأهم تصرفات أفرادها وميولها الخطيرة التي تلتقي مع التيار الشعوبي وتنسجم معه بالاعتماد على أهم المصادر التاريخية الموثوقه.

بعد أن تمكن البرامكه من إحكام سيطرتهم على مقدرات ألخلافه العباسية في عهد هارون الرشيد أخذت تتضح شعوبيتهم وعنصريتهم بجلاء، إذ كانت قبل ذلك مكتومةً مكبوتة وقد عبرت عن نفسها باتجاهات وطرق متعددة :

يأتي في مقدمة النهج الشعوبي عند البرامكه نشر وتشجيع الثقافات الاعجميه بغض النظر عن اختلافها وتقاطعها مع الثقافة العربية الاسلاميه، فقد قاموا بدور واضح في هذا الاتجاه

ولاسيما إشاعة الثقافة الفارسية فضلا عن الهندية واليونانية، بسبب ميلهم إليها من جهة والمامهم بتلك الثقافات نتيجته لخلفيتهم الدينية ومكانتهم السياسية والاجتماعية التي تمتعوا بها خلال هذه الفترة، حيث استلم يحيى بن خالد زمام الأمور بتفويض من الخليفة هارون الرشيد فاستغل ذلك البرامكه أسوأ استغلال واخذوا يعملون على نشر ثقافتهم الأعجمية وتشجيع ترجمتها إلى العربية[٤١] .

ومن أجل تحقيق هذه الغاية عمل البرامكة على توسيع طبقة الكتاب لأهمية ذلك في تيسير الوصول إلى ما يهدفون إليه لبعث التراث الحضاري الفارسي لاسيما ترجمة كتب الأدب والتاريخ، وتبنوا عناصر متطرفة في شعوبيتها مثل سهل بن هارون ((الذي كان من أعلام الشعوبيين ومن المندفعين في كره العرب))[٤٢] ، قاصدين من ذلك مباهاة العرب بما لديهم من ثقافة وأدب، وقد يذلوا في سبيل ذلك الأموال الطائلة[٤٣] ، ومن أمثلة ذلك عندما نظم الشاعر ((أبان بن عبد الحميد بن لاحق كتاب كليلة ودمنة شعراً وأهداه إلى جعفر بن يحيى كافأه بـ مئة ألف درهم))[٤٤] .

ومما يؤيد شعوبية طبقة الكتاب الذين إعتمد عليهم البرامكة لنشر الثقافة الفارسية ما جاء في وصف الجاحظ لهم ((انه لم ير كاتباً قط جعل القران سميره ولا علمه مسيره، وفي التفقه في الدين شعاره، ولا الحفظ للسنن والآثار عماره))[٤٥] .

ويضيف الجاحظ مبيناً مدى كراهية هؤلاء الكتاب للعرب وعنصريتهم المتطرفة بقوله: ((فإن هو [أي الكاتب الشعوبي] عرف خيراً ستره وان ظهر حقره، وان أحتمل التأويلات صرفه إلى أقبحها،وان سمع سوءاً نشره، وان لم يسمعه نفر منه، وان لم يجده سخر منه))[٤٦].

احتضن البرامكة مشاهير الشعوبية ووفروا لهم الحماية والأمن بالإضافة إلى رغد العيش، فانطلق هؤلاء لنشر سمومهم ضد العرب، أمثال علان الوراق الذي ألف أكثر من كتاب في ذم العرب، وكان هذا منقطعاً إلى البرامكة يحظى بالتقدير والإكرام عندهم، كذلك سهل بن هارون الذي ألف في ذم العرب أكثر من رسالة، بالإضافة إلى حميد بن مهران وسعيد بن وهب[٤٧] .

ويصف ابن النديم هؤلاء الكتاب بقوله: ((وكان سعيد بن حميد البختكان شديد العصبية على العرب وله من الكتب : كتاب فضل العجم على العرب وافتخارها ، وله كتاب في المثالب، أما سهل بن هارون فهو ((شعوبي المذهب شديد العصبية على العرب وله في ذلك كتب كثيرة)) ، وأما علان الشعوبي فكان راوية عارفاً بالأنساب والمثالب ألف كتاب الميدان في المثالب ((هتك فيه العرب وأظهر مثالبها)) ، وله عدة كتب أخرى في مثالب القبائل المشهورة ومنها قبيلة قريش[٤٨] .

وفي مجال رواية التاريخ فقد استعان البرامكة بـ أبي عبيد الله معمر بن مثنى، وفي الشعر استعانوا بحماد وخلف الأحمر، وفي الترجمة عن الفارسية استعانوا بالفضل بن سهل وإبان اللاحقي(٤٩) .

ومن جانب آخر عمل البرامكة على استخدام الشعر والشعراء كوسيلة لتحقيق أهدافهم في نشر أخبارهم والمبالغة في كيل المديح والثناء عليهم لاكتساب ميول الناس أولا فضلاً عن أهمية هذا الميدان لتحقيق مآربهم الشعوبية ثانياً، فقربوا الشعراء ودفعوهم لإثارة الفتن وزرع الأحقاد في الصف العربي(٥٠) .

لقد أدى إسراف البرامكة وإغداق الأموال على الشعراء والكتاب وغيرهم إلى زيادة قوتهم ومضاعفة نفوذهم وزيادة أتباعهم والمدافعين عنهم مما جعل عصرهم مرتعاً خصباً للشعوبيين، ومجالاً واسعاً لنشاطهم ولنشر دعوتهم(٥١) .

ومما تجدر ملاحظته أن البرامكة ركزوا اهتمامهم على الشعراء الفرس ومنحوهم الكثير من الأموال والهبات، وخاصة ممن كانوا يوصفون بالزندقة والإلحاد والتهتك والخلاعة، والغاية من ذلك إفساد الدين والقيم الأخلاقية والمثل العليا ومن ثم إفساد المجتمع، فهذا بشار بن برد يهزأ بالإسلام وينكر البعث والحساب ويفتتن بشعره إلى حد ((أنه سمع جارية تتغنى بشعره فيعجب فيقول هذا والله أحسن من سورة الحشر))(٥٢) ، وهذا الشاعر الشعوبي أبو نؤاس يتهكم على العرب ويسخر منهم مستهيناً بهم بقوله :

عاج الشقي على رسم يسائله	وعجت أسال عن خمارة البلدِ
يبكي على طلل الماضين من أسد	لا در درك قل لي من بنو أسدِ
ومن تميم ومن عكل ومن يمن	ليس الاعاريب عند الله من أحدِ(٥٣)

ومن الأمور التي سار عليها البرامكة : تشجيع المجاهرة بحرية الرأي وتوفير الحماية لهم ولأرائهم لغايةً معلومة، علماً بأن البعض منهم كانوا يحملون أراء الزنادقة مثل محمد بن الليث الخطيب، الذي كان متهماً بالزندقة وهشام بن الحكم .... الذي كان منقطعاً ليحيى بن خالد(٥٤).

وتشجيعاً لهذا النشاط هيأ البرامكة مجالس خاصة يشرفون عليها بأنفسهم تناقش فيها مختلف الأفكار والآراء دون قيد أو رقابة، وقد أجمل المسعودي هذه الموضوعات بقوله: ((وقد كان يحيى بن خالد ذا علم ومعرفة وبحث ونظر، وله مجلس يجتمع فيه أهل الكلام من أهل الإسلام وغيرهم من أهل الآراء والنحل)) ، تناقش فيه أموراً متنوعة ((كالكمون والظهور والإثبات والنفي، والقدم والحدوث، والحركة والسكون، والمماسة والمباينة، والوجود والعدم، والجر والطفرة، والتعديل والتجريح، ونفي الصفات وإثباتها، والاستطاعة والأفعال، والكمية والكيفية والمضاف، والإمامة أنص هي أم اختيار؟))(٥٥) .

أن احتضـان مثـل هـذه المجـالس وعـدم تحـرج البرامكـة مـن مناقشـات تتصـل بالعقائـد والمذاهب الدينية والسياسية والكلامية من قبل ذوي الميول والاتجاهات المختلفة دون تحفظ فتح الباب واسعاً لاتهامهم بالميل إلى هذه الفرق على الأقل، ولاسيما الشعوبية والزندقة، ولاشك أن هذا النشاط كان يؤثر على وحدة المجتمع الإسلامي ويثير البلبلة والشكوك وخاصة لدى عامة الناس، وهذا ما كان الخليفة هارون الرشيد يحذر منه، إذ إن الجدال في مثل هذه الأمور دون ضوابط يؤدي إلى الخلط والتشويه، كما انه يسمح لمذاهب وتيارات معادية للإسلام بالانتشار وهذا مما يترك أثاراً سلبية خطيرة على سلامة البلاد واستقرارها لأنه يؤدي إلى زعزعة وحدة المجتمع وزيادة عوامل الفرقة والانفصال، وهذا التوجه يتناقض مع جوهر سياسة الدولة العباسية، ((ففي الوقت الذي كان الرشيد مشغولاً بالتصدي للتيارات الدينية المعارضة للخلافة العباسية لأسباب تتعلق بأمن الدولة، كان البرامكة في مجالسهم يفسحون المجال لهذه التيارات المختلفة التعبير عن نفسها بمختلف الوسائل))[٥٦] .

كما كانت للبرامكة مجالس خاصة ذات صبغة عنصرية تثير الشك والريبة، وكان جعفر بن يحيى يترأس هذا المجالس في قصره أسبوعياً ويحضره كبار الشخصيات الفارسية الموجودة في بغداد ومن يرد إليها من دهاقين خراسان لأجل الزيارة ولا يحضره أحد من العرب لأن لغة التخاطب فيه فارسية، ولهذا المجلس وجهان : ظاهره المؤانسة والاجتماع على الشراب والتحدث في الأدب الفارسي، والتغني بأمجاد ساسان والملوك الأقدمين وذكر فتوحاتهم وبطولاتهم ومذاهبهم وأديانهم، وباطنه أشبه بمقر لحزب فارسي كبير يعني بشؤون بلاد فارس وحل مشاكلها القائمة وربط كتلها وقبائلها بال برمك الذين أصبحوا في ذلك العهد سادة قومهم دون منازع[٥٧] .

ومن مظاهر شعوبية البرامكة تحيزهم لبني جنسهم الفرس وتفضيلهم على غيرهم وفتح الطريق أمامهم لاستلام المناصب المهمة في الدولة وفي هذا المجال تأتي أسرة أل سهل الفارسية المجوسية في مقدمة من أحتضنهم البرامكة .

بدأت علاقة هذه الأسرة بالبرامكة عندما لجأ سهل بن زاذا نفروخ (والد الفضل) إلى باب يحيى بن خالد متظلماً ضد شخص يدعى (عاصم بن صبيح) حول ضيعة أختلفا عليها فأمر له بها _ وهو لم يزل مجوسياً لم يدخل الإسلام _ وآنتزع البيت والضيعة من عاصم وأقرها في يد سهل ولم يلتفت إلى اعتراضات عاصم ورد شكواه[٥٨] ، من الملاحظ أن هذا الحكم لا يخلو من ميل عنصري .

أخذت العلاقات تتواصل وتتعمق _ بعد تلك الحادثة _ بين الأسرتين وأصبح البرامكة يستعينون بأفراد هذه الأسرة المجوسية ويستخدمونهم في أعمالهم، ويمهدون لهم السبيل لاستلام مواقع هامة في الدولة العباسية، ((فآتصل الفضل بن سهل بالفضل بن جعفر وتقلد قهرمته،

وأتصل الحسن بن سهل بالعباس بن الفضل بن يحيى وخدماهما، وعرفهما يحيى بن خالد ورعى لهما ولايتهما))[٥٩] .

ثم ارتفعت منزلة أسرة أل سهل لدى البرامكة عندما قام الفضل بن سهل بنقل كتاب من الفارسية إلى العربية وأهداه لحيى، ((فأعجب بفهمه فقال له : أني أراك ذكياً وستبلغ مبلغاً رفيعاً فأسلم حتى أجد السبيل إلى إدخالك في أمورنا والإحسان إليك)) ، فاستجاب له ودخل الإسلام على يديه لكن يحيى فكر بعمق وأراد أن يوصله إلى المأمون ليعلن أسلامه أمامه بقصد إقامة علاقة بين الاثنين، فتدبر الأمر مع أبنه جعفر الذي كان يشرف على تربية المأمون[٦٠] .

وهكذا تمكن البرامكة من إدخال أسرة فارسية أخرى إلى ديوان الخلافة لتلعب دوراً خطيراً في المستقبل، ومن الملاحظ أن إسلام الفضل بن سهل كان شكلياً وليس عن أيمان حقيقي مقترناً بالمصلحة وكوسيلة تمهد له الطريق لإشغال مناصب مهمة في الدولة .

لم يكتف البرامكة بإيجاد علاقة بين المأمون والفضل بن سهل بل حاولوا إيصاله إلى الخليفة هارون الرشيد، وقد جاء في ذلك ((أن جعفر بن يحيى لما عزم على استخدام الفضل بن سهل للمأمون قرضه يحيى بن خالد بحضرة الرشيد فقال الرشيد أوصله إلي))[٦١] .

ومما يدل على شدة اهتمام البرامكة بالفضل بن سهل وإعداده لاستلام أرفع المناصب في الدولة، إثارة طموحه والتنبؤ بمستقبل مهم له عندما خاطب يحيى بن خالد الفضل بن سهل قائلاً : ((في كل أربعين سنة يحدث رجل يجدد الله به دوله وأنت عندي منهم))[٦٢] .

يضيف هذا الاهتمام الزائد بأسرة أل سهل المجوسية دليلاً واضحاً على شعوبية البرامكة، وقد استمروا على هذا النهج طيلة سبعة عشر عاماً يدفعون أبناء جلدتهم من الفرس إلى مواقع متقدمة في الدولة مفضلينهم على العرب ضماناً لاستمرار الهيمنة الفارسية على الحكم، ((والبرامكة بموقفهم هذا هددوا فكرة التماسك والتعاون الإداري بين العرب والفرس بأن كونوا رد فعل لدى العرب وولدوا الاعتقاد لديهم بأنهم يريدون اضطهادهم))[٦٣] .

وبسبب هذا النهج الشعوبي لدى البرامكة أثيرت حولهم الكثير من الشكوك والظنون واتهموا بالزندقة والميل إلى المجوسية، وقد وردت العديد من الروايات التي تؤيد ذلك _ على سبيل المثال _ منها : عدم ارتياح يحيى وضجره من محاولة الرشيد هدم إيوان كسرى لأنه رمزٌ من رموز الفرس، فقال مبرراً اعتراضه : ((لا تهدم بناءً دل على فخامة شأن بانيه الذي غلبته وأخذت ملكه [فرد عليه الرشيد] هذا من ميلك إلى المجوس))[٦٤] .

ويشير أبن قتيبة في هذا المجال إلى قيام الرشيد بقتل أنس بن أبي شيخ لكونه زنديقاً _ وكان هذا صديقاً لجعفر بن يحيى _ ، ويضيف ((وكذا البرامكة كانوا يرمون بالزندقة إلا من عصم الله تعالى منهم))[٦٥] ، كما يؤيد ذلك ما أورده ابن النديم بقوله : ((قيل إن البرامكة بأسرها إلا محمد بن خالد كانت زنادقة))[٦٦] .

ويبدو أن الميل إلى الشعوبية والزندقة عند البرامكة كان شائعاً، وذكر على السنة الشعراء منهم قول الأصمعي :

((إذا ذكر الشرك في مجلس أضاءت وجوه بني برمك
ولو تليت بينهم أية أتوا بألاحاديث عن مزدك))[٦٧]

وقال شاعر أخر :

((إن الفراغ دعاني إلى أبتناء المساجد
وان رأي فيها كرأي يحيى بن خالد))[٦٨]

وهناك العديد من الآراء التي تؤيد هذا النهج لدى البرامكة إضافة إلى ما ذكر، منه ما نقله الطبري عن أحد معاصريهم (محمد بن الليث) ، ((وصف يحيى بأنه يكيد بالإسلام وأهله ويحب الإلحاد وأهله))[٦٩] ، أما ابن عساكر فيقول : ((كان خالد يتهم بدين المجوس))[٧٠] ، ويؤكد آخر هذا الاتهام بقوله : ((أنهم على دين المجوس))[٧١] ، ومن أمثلة آراء المستشرقين رأي ادم متز : ((البرامكة كانوا بعيدين عن الإيمان كل البعد))[٧٢] .

ومن مظاهر النهج الشعوبي للبرامكة أيضاً الاستهانة بهيبة الخلافة باعتبارها رمزاً مقدساً للسيادة العربية الإسلامية، فهم لم يكتفوا بفسح المجال لطعن العرب والتشكيك بمبادئ العقيدة الإسلامية، بل عملوا على النيل من رمز العروبة والإسلام (الخلافة) وذلك للحيلولة دون القيام بواجبها على صعيد الإدارة والسياسة، بل ذهبوا أكثر من ذلك إلى تحجيم دورها وإظهارها بمظهر العاجز تستمد العون والمساعدة من البرامكة بعد أن تمكنوا من أمور البلاد لتفقد مبررات وجودها، كما أشار ابن كثير إلى ذلك بقوله : ((إن البرامكة أرادوا أبطال الخلافة وإظهار الزندقة))[٧٣] .

ومن الأساليب التي اعتمدوها لإضعاف الخلافة : الهيمنة على موارد البلاد المالية ووضعها تحت تصرفهم ومحاولة حجب الخليفة من الإشراف عليها، فحددوا لنفقاته الخاصة موارد معينة كما قال الجهشياري : ((وكان البرامكة قد فارقوا الرشيد على شيئٍ يطلقونه له من المال للحوادث سوى نفقاته وما يحتاج إليه هو وعياله))[٧٤] ، هذا في الوقت الذي كان فيه البرامكة يتصرفون بأموال الدولة كما يشاؤون بإسراف واضح مع مغالاة في البذخ وزيادة في الملكيات الخاصة .

وينقل الاتليدي حواراً دار بين الرشيد واحد جلسائه حول سعة أملاك جعفر بن يحيى وكثرة ضياعه المنتشرة في كل مكان، وعظمة أبهة موكبه وضخامته الذي يفوق موكب الخليفة نفسه، وبين الفرق الكبير بين حال الرشيد وأحوال البرامكة، فيعلق الخليفة على ذلك بحسرة وتذمر : ((لا اعرف لأحد من أولادي ضيعة من ضياع البرامكة على طريق واحد على قرب هذه المدينة فكيف بما هو لهم غير ذلك على غير هذا الطريق في سائر البلدان)) ، وحينما يعقب

صاحبه محاولاً التخفيف من وطأة ذلك على الخليفة، يرد عليه بحدة قائلاً: ((ما عد البرامكة بني هاشم إلا عبيدهم، وأنهم هم الدولة، وان لا نعمة لبني العباس إلا والبرامكة انعم عليهم بها))[٧٥] .

وينقل الاتليدي بقية حوار الرشيد مع صاحبه (إسماعيل بن يحيى الهاشمي) موضحاً مدى امتعاض الخليفة من طغيان نفوذ البرامكه بحيث أصبحوا هم الأسياد ومحط أنظار الجميع وتعج أبواب دورهم بمختلف أصناف الناس، بينما تركوا الخليفة ينزوي في قصره، وكأنه تابع لهم وليس له دور في إدارة شؤون البلاد، فيحاول صاحبه ثانيةً أن يخفف من اثر ذلك على نفس الرشيد، فيرد غاضباً : ((والله هذا هو الاستخفاف بعينه، والله لا أصبرن على ذلك))[٧٦].

وتتكرر تصرفات البرامكه في أقوالهم وأفعالهم المعبرة عن استهانتهم بالخلافة، منها : عندما قلد الرشيد جعفر بن يحيى على إقليم خراسان، ألتقى به إسماعيل بن يحيى الهاشمي- وهو يتأهب للخروج- ناصحا إياه بأن يهدي بعض ضياعه لأبناء الخليفة، وهو مقبل على خيرات بلاد عظيمه، أجاب بغضب يظهر مدى استهجانه واستخفافه بالخلافة قائلاً: ((ما أكل الخبز ابن عمك أو قال صاحبك إلا بفضلي، ولا قامت هذه ألدوله إلا بنا ... والله لان سألني شيئاً من ذلك ليكون وبالا عليه سريعاً))[٧٧].

يتضح مما سبق أن البرامكة أرادوا أن يجردوا الخلافة العربية من هيبتها ويلغوا دورها، ويحولوا أنظار الناس إليهم، وبالتالي إظهار تفوقهم عليها ونسبة الفضل إليهم، وبصورة غير مباشرة إلى الفرس .

تكثر الأمثلة والشواهد على الاستهانة بالخلافة من خلال التضييق على الخليفة مالياً، في الوقت الذي كان فيه البرامكة يغالون في بذخهم وتبذيرهم لأموال الدولة، ومثال ذلك أن الرشيد طلب من جعفر بن يحيى عشرة آلاف دينار نفقات لفصده (الحجامة) فقال له جعفر ومن أين عشرة آلاف دينار ؟ فقال منكم ؟ قال خمسة فقط فسكت الخليفة[٧٨] .

وأكثر من ذلك تشتد الحاجة بعائلة الرشيد وهو غائب عن بغداد فتتوجه زبيدة (زوجة الخليفة) بطلبها إلى يحيى بن خالد باعتباره الأمين المشرف على قصور أسرة الخليفة فلم يلبّ طلبها وتركها في ضائقة لم تتعود على مثلها، فلما عاد الرشيد شكته إليه فتأثر ولكنه لم يفاتحه[٧٩] .

ويحصل مثل هذا في مناسبة أخرى، منها أن الخليفة هارون الرشيد كان في البصرة وكان معه يحيى بن خالد، فوردت الأموال من إقليم فارس تبلغ ستة آلاف ألف درهم، وكان الخليفة بحاجة إلى المال ليبعثه إلى عياله في بغداد فطلب من يحيى جزءاً من هذا المبلغ، لكن يحيى أحتج على ذلك بقوله : إن أخذت منها درهماً واحداً ذهبت هيبتك، فأمسك الرشيد عن طلبه واقترض حاجته من احد أصحابه، ثم علم فيما بعد بان يحيى قد اخذ من ذلك المال ألف ألف

وخمسمائة ألف فرقها في عماله وأتباعه، فلما سأله الرشيد عن ذلك معاتباً لم يجبه يحيى بما يرضيه[٨٠] .

تركت هذه التصرفات من قبل البرامكة والتي اقل ما يقال فيها بأنها لم تراعِ حرمة الخلافة وهيبتها أثاراً عميقة في نفس الخليفة هارون الرشيد جعلته يعيد النظر في حساباته وبدأ بين مناسبة وأخرى يعلق على انحرافات البرامكة وأشتطاطاتهم، معبراً عن سخطه وعدم رضاه، منها قوله : ((لقد أغنيناهم وأفقرنا أولادنا وذوينا)) ، ويعلق على استبداد البرامكة، وهو يشاهد الوفود مزدحمة على أبواب قصورهم قائلاً: ((أستبد يحيى بألامور دوني، فالخلافة على الحقيقة له وليس لي منها إلا اسمها))[٨١] .

وبالمقارنة بين ما آلت إليه حال الخلافة، وبين ما كان عليه البرامكة من إسراف في تبذير الأموال إلى حد اللامعقول وأيديهم طليقة في بيت مال الدولة فانتشرت أخبار سخائهم وعطاياهم، حتى قال فيهم الشعراء ما قالوا ((ووصفوهم بكل مكرمة ونعتوهم ببدور الدجى وعز الإسلام وسيوف الله على الأرض وحماة الثغور، وملوك تتراجع أمامهم الملوك هيبة وجلالاً.... حتى لم يبقى شيء يمدح به الرشيد دونهم، وهو أحوج منهم إلى الدعاية في سبيل بقاء عرشه ودعم سلطانه أمام تلك التيارات السياسية المتلاطمة))[٨٢] ، ومما يجدر التذكير به أن هذه الهالة من التعظيم والمبالغة في النعوت والأوصاف لا تتناسب مع حقيقة كون البرامكة لم يكونوا سوى رجال إدارة وسياسة شأنهم شأن غيرهم من الوزراء .

انحياز البرامكة إلى المأمون (الدوافع والأسباب) :

بدأ البرامكة يخططون _ مدفوعين بنهجهم الشعوبي _ لمستقبل نفوذهم وضمان هيمنتهم على السلطة بعد عهد الرشيد لضمان استمرار غلبة النفوذ الفارسي على النفوذ العربي في بلاط الخلافة، ويأتي جعفر بن يحيى في مقدمتهم حماساً لهذا الأمر .

بدأ جعفر البرمكي نشاطه منذ أن عهد إليه الرشيد الإشراف على تربية أبنه عبد الله المأمون، وخاصة بعد إسناد ولاية العهد لأخيه محمد الأمين عام ١٧٥ هـ [٨٣] ، فأخذ جعفر لا يترك فرصة إلا وأغتنمها للإشادة بذكاء عبد الله المأمون وكفاءته وحسن سيرته أمام واله الرشيد .

أصبح الهم الرئيسي لجعفر البرمكي تقديم المأمون بن هارون الرشيد _ من ام فارسية هي مراجل _ في مناسبة وغير مناسبة، وقد بذل جهوداً في تربيته وتهذيبه والتأثير عليه، حتى صار طوع يديه، كما كان الرشيد طوع أبيه يحيى، فراح يحث الخليفة على أعطاء ولاية العهد لعبد الله المأمون مبيناً بأنه الأصلح للخلافة، وأستمر يسعى في هذا الاتجاه هو ومن معه من صنائع آل برمك في الخفاء والعلن ليزينوا له انتزاع ولاية العهد من الأمين باسم المصلحة العامة، مما نتج عن هذا النشاط المحموم جفوة وكراهية بين الأخوين وولد صراعاً خفياً بين

مؤيديهما مما أقض مضجع الرشيد وسد عليه منافذ الرأي، ومما تجدر ملاحظته أن يحيى كان يشاطر ابنه جعفر في ميله إلى المأمون لكنه لم يكن يريد أظهار ذلك(٨٤) .

واستمر جعفر البرمكي في ترغيب الرشيد تلميحاً وإلحاحا وتصريحاً لإسناد ولاية العهد إلى المأمون بعد أخيه _ كخطوة أولى ضرورية _ حتى تحقق له ذلك عام ١٨٢ هـ ، وقد أورد الجهشياري خبر ذلك بقوله: ((فأشار على الرشيد ببيعته للعهد بعد محمد، وقام بالأمر حتى عُقد له... وأخذ الإيمان على بني هاشم والوجوه، وكاتب العمال في جميع النواحي بذلك))(٨٥) ، ولقبه بالمأمون وأسند إليه إدارة خراسان وما جاورها في شرق الدولة وكلف جعفر البرمكي بالقيام على أدارة شؤونه وأعماله ودواوينه(٨٦) .

وبعد أن ضمن البرامكة نجاح الخطوة الأولى بإسناد ولاية العهد الثانية إلى المأمون، نشط جعفر بن يحيى محرضاً الرشيد على انتزاع البيعة من الأمين وإعطائها للمأمون لحسن سيرته، ومتهماً أخاه بسوء التصرف مما أثار حفيظة زبيدة (أم الأمين) فنازعته وأبقت ابنها في منصبه(٨٧) .

وبذلك مهد البرامكة لأوضاع خطيرة تنتظر الدولة العباسية في المستقبل فنمت الأحقاد والبغضاء بين الأخوين، وبلغ الصراع أشده بين الشعوبية والكتلة العربية في البلاط ، فآنضم العرب إلى جانب فريق زبيدة كما التحق بهم خصوم البرامكة من غير العرب، وأنقسم رجال الحاشية إلى طائفتين : عربية وشعوبية فارسية التحمتا في صراع محموم سلاحهما فيه الوشايات والدسائس وفضح الأسرار وكشف المثالب(٨٨) .

لا شك أن ذلك الوضع أقلق الرشيد كثيراً وأقض مضجعه، وأخذ يفكر باحثاً عن مخرجاً له إلى أن اهتدى أخيراً إلى فكرة كتابة العهود والمواثيق بين الأخوين _ تحت تشجيع البرامكة وحثهم _ توضح بالتفصيل حدود وصلاحيات كل منهما، وقرر أن يتم ذلك في الكعبة خلال موسم الحج حيث يجتمع الناس من كل مكان فكتب الخليفة عام ١٨٦ هـ إلى عماله وولاته في المدن والأقاليم يحثهم على موافاته مع وجوه الناس في مكة ليشهدوا توقيع مراسيم العهود بين ولديه(٨٩) ، وقد تم ذلك في مطلع عام ١٨٧ هـ (٩٠) .

ومما تجدر الإشارة إليه في هذا الموقف المهيب تهالك جعفر البرمكي وخروجه عن آداب اللياقة والاتزان أمام الخليفة وكبار رجال الدولة عندما اقترب من محمد الأمين وسحبه من رداءه _ أثناء أداءه القسم _ طالباً منه أن يردد ورائه ((خذلني الله إن خذلته فقال ذلك ثلاث مرات)) بإلحاح من جعفر مما سبب تذمر الرشيد نفسه(٩١) .

ويلاحظ أن هذا الحل لم يكن موفقاً بدليل استمرار مخاوف عامة الناس من النتيجة، وقد عبرت عنه في مجالسها وعلى السنة الشعراء والمفكرين، ومن المرجح أن الرشيد أحس بذلك فأعطى ولاية العهد الثالثة لأبنه (القاسم) بعد المأمون(٩٢) .

لقد جرت مشكلة ولاية العهد ورائها الكثير من الأزمات، ولعب فيها البرامكة أخطر الأدوار الذين احترقوا بنار عنصريتهم وشعوبيتهم بعدما أثاروا ردود فعل كثيرة في الصف العربي والقوى الأخرى المناوئة لنهجهم الشعوبي .

يتضح مما سبق إن التوجه الشعوبي كان من ابرز مظاهر عهد البرامكة مما حرك ضدهم اكبر عدد من الخصوم العرب خوفاً على عقيدتهم وقوميتهم من طغيان العنصر الفارسي وهيمنته على زمام الأمور في الدولة، حيث لم يكن البرامكة يخفون تعصبهم لبني جنسهم، وقد ثبت عنهم أنهم كانوا يفضلون كل ما هو فارسي على عربي مثله، ويقدمون أبناء جلدتهم _ كما مر بنا _ في المناصب المهمة على العرب الاقحاح، كما استطاعوا أن يدخلوا الكثير من النظم الفارسية القديمة إلى بلاط الدولة العباسية في عهد الخليفة هارون الرشيد .

ومما تجدر الإشارة إليه هنا _ إزالة للبس _ أنهم غير ملومين على حبهم لعنصرهم وتمسكهم به فهذا أمر طبيعي، لكن الأمر الذي يؤاخذون عليه مؤازرتهم للفكرة الشعوبية، وحمايتهم للشعوبيين الحاقدين على العرب وحتى الإسلام من كتاب وأدباء وشعراء _ كما سبق ذكره _ ، القوا في كنفهم وتشجيعهم الكتب في مثالب العرب ونظموا الشعر في هجوهم والسخرية من تقاليدهم وقيمهم فكان هذا تحدياً سافراً للأكثرية العربية وطعناً في مكانة الرشيد نفسه لكونه عربياً يعتز بقوميته، وفي الوقت نفسه وضعوا المؤلفات التي ترفع من شأن الفرس وتتغنى بأمجادهم، فكانت نتيجة هذا النهج الشعوبي لدى البرامكة وبالاً عليهم عندما أنقلب عليهم الرشيد وأطاح بنفوذهم .

الهوامش

(١) ابن منظور : أبو الفضل جمال الدين محمد ، ت (٧١١ هـ _ ١٣١١ م) ، ((لسان العرب)) ، دار صادر للطباعة والنشر، (بيروت _ ١٩٥٥) ، ١ / ٥٠٠ .

(٢) الزبيدي : محمد مرتضى ، ت (١٢٠٥ هـ _ ١٧٩٠) ، ((تاج العروس)) ، دار صادر، (بيروت _ ١٩٦٦) ، ١ / ٣٢١ ، الفيروز آبادي : مجد الدين محمد ، ت (٨١٧ هـ _ ١٤١٤ م) ، ((القاموس المحيط)) ، دار الجبل ، (بيروت _ د . ت) ، ١ / ٩١ .

(٣) الزبيدي : م . س ، ١ / ٣١٨ ؛ ابن منظور : م . س ، ١ / ٤٩٩ – ٥٠٠ .

(٤) محمد ثابت وآخرون : ((دائرة المعارف الإسلامية)) ، د . م ، (طهران _ د . ت) ، م١٣ / ٣١٥ ، مادة الشعوبية .

(٥) محمد ثابت وآخرون : م . ن .

(٦) أبو عثمان عمرو، ت (٢٥٥ هـ _ ٨٦٨ م) ، ((البيان والتبيين)) ، تحقيق حسن السندوبي، مطبعة الاستقامة ، ط٣ ، (القاهرة _ ١٩٤٧) ، ٣ / ٣ .

(٧) م . ن ، ٣ / ٢٦ .

(٨) ((كتاب الحيوان)) ، تحقيق عبد السلام هارون ، (القاهرة _ ١٩٥٨) ، ٧ / ٢٢٠ .

(٩) ابن قتيبة : أبو محمد عبد الله ، ت (٢٧٦ هـ _ ٨٨٩ م) ، ((كتاب العرب او الرد على الشعوبية)) ، جاء ضمن كتاب ((رسائل البلغاء)) ، لمحمد كرد علي ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، (القاهرة _ ١٩٥٤) ط٤ ، ص ٢٦٩ .

(١٠)أبو القاسم محمود : ت (٥٣٨ هـ _ ١١٤٣ م) ، ((المفصل)) ، مطبعة التقدم ، (مصر _ ١٣٢٣ هـ)، ص ٢–٣ .

(١١)دائرة المعارف الإسلامية ، ١٣ / ٣١٥ – ٣١٦ .

(١٢)محمود شكري الالوسي : ((بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب)) ، تحقيق محمد بهجة الأثري ، مطابع دار الكتاب العربي ، (مصر _ د . ت) ، ١ / ١٥٠ – ١٦٠ .

(١٣)د . عبد العزيز الدوري : ((الجذور لتاريخية للشعوبية)) ، دار الطليعة ، (بيروت _ ١٩٨٠) ، ط٢ ، ص ١١–١٢ .

(١٤)محمد كرد علي: ((الإسلام والحضارة العربية)) ، مطبعة دار الكتب العربية ، (القاهرة _ ١٩٣٤) ، ص ٣٤ – ٣٥ .

(١٥)هاملتون جب : ((دراسات في حضارة الإسلام)) ، ترجمة د . أحسان عباس وآخرون ، دار العلم للملايين، (بيروت _ د . ت) ص١٦ .

(١٦)((العراق والتحدي الفارسي)) ، دار الشؤون الثقافية العامة ، (بغداد _ ١٩٨٧) ، ص١١٣ .

(١٧)ابن خلكان : أبو العباس أحمد ، ت (٦٨١ هـ _ ١٢٨١ م) ، ((وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان)) ، تحقيق ، د . أحسان عباس ، دار صادر ، دار بيروت (بيروت _ د . ت) ، ٦ / ٢١٩ ؛ ابن العماد : أبو الفلاح عبد الحي : ت (١٠٨٩ هـ _ ١٦٧٨ م) ، ((شذرات الذهب في أخبار من ذهب)) ، د . م ، (بيروت _ د . ت) ، ١ / ٣٢٧ .

(١٨)أبن الفقيه : أبو بكر أحمد : ت (٣٤٠ هـ _ ٩٥١ م) ، ((مختصر كتاب البلدان)) ، د . م ، (لبدن _ ١٣٠٢ هـ) ، ص٣٢٢ .

(١٩)م . ن .

(٢٠)دائرة المعارف الإسلامية ، م٣ / ٤٩٢ – ٤٩٨ .

(٢١)م . ن .

(٢٢)الطبري: محمد بن جرير ، ت (٣١٠ هـ _ ٩٢٢ م) ، ((تاريخ الرسل والملوك)) ، د . م ، (بيروت: د . ت) ، ق٢ ج٦ / ١١٨١ .

(٢٣)م . ن ، ق ٢ ج٩ / ١٩٦٤ .

(٢٤)للمزيد من التفاصيل أنظر : مؤلف مجهول : ((العيون والحدائق وأخبار الحقائق)) ، د . م (بريل / ١٨٧١) ، ص١٩١ ؛ الطبري : م . ن ، ق٢ ج٩ / ٢٠٠١ – ٢٠٠٥ ، ق٣ ج١٠ / ٥ ، ٢١ .

(٢٥)الجهشياري : أبو عبد الله محمد : ت (٣٣١ هـ _ ٩٤٢ م) ، ((الوزراء والكتاب)) ، تحقيق محمد السقا وآخرون ، د . م (مصر _ ١٩٣٨) ، ص٨٩ ؛ الطبري : م . س ، ق٣ ج١٠ / ٧٢ ؛ ابن طباطبا : محمد بن علي ، ت (٧٠٦ هـ _ ١٣٠٦ م) ، ((الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية)) ، د . م ، (مصر _ د . ت) ، ص١٢٥ ؛ مجهول : م. س ، ص٢٠٨ ، ٢١٥ .

(٢٦)الجهشياري : م . ن .

(٢٧)الطبري : م . س ، ق٣ ج١٠ / ٣٨١ – ٣٨٣ .

(٢٨)م . ن ، ق٣ ج١٠ / ٣٤٥ – ٣٤٦ ، مؤلف مجهول : م . س ، ص٢٦ .

(٢٩)م . ن ، ق٣ ج١٠ / ٤٩٢ .

(٣٠)م . ن ، ق٣ ج١٠ / ٤٩٧ ؛ الجهشياري : م . س ، ص١٥ .

(٣١)م . ن ، ق٣ ج١٠ / ٥٠٠ .

(٣٢)الجهشياري : م . س ، ص١٦٩ – ١٧٠ ؛ الطبري : م . ن ، ق٣ ج١٠ / ٥٧٢ – ٥٧٣ .

(٣٣)مؤلف مجهول : م . س ، ص٢٨٥ – ٢٨٦ .

(٣٤)ابن الأثير : علي بن أحمد : ت (٦٣٠ هـ _ ١٢٨٣ م) ، ((الكامل في التاريخ)) ، دار بيروت للطباعة، (بيروت _ ١٩٦٥) ، ٦ / ٩٦ .

(٣٥)الجهشياري : م . س ، ص١٧٥ .

(٣٦)الطبري : م . س أحداث سنة ١٧٠ هـ .

(٣٧)الطبري : م . ن ، ق٣ ج١٠ / ٥٦٩ – ٥٧٨ ؛ ابن الأثير : م . س ن أحداث سنة ١٧٠ هـ .

(٣٨)الاتليدي : محمد المعروف بـ دياب : () ، ((أعلام الناس بما وقع للبرامكة مع بني العباس)) ، د . م ، (د. ت) ص١٣٢ .

(٣٩)الجهشياري : م . س ، ص٢١١ ؛ الاتليدي : م . ن .

(٤٠)محمد بنيه حجاب : ((مظاهر الشعوبية في الأدب العربي حتى نهاية القرن الثالث الهجري)) ، مطبعة الرسالة ، (مصر _ ١٩٦١) ، ص٣٧٠ – ٣٧١ .

(٤١) ٤١.

(٤٢)الدوري : م . س ، ص٤٨ .

(٤٣)أحمد محمد الحوفي : ((تيارات ثقافية بين العرب والفرس)) ، مطبعة نهضة مصر ، (مصر _ د . ت) ، ص١٧٨ .

(٤٤)الجهشياري : م . س ، ص٢١١ .

(٤٥)الجاحظ : أبو عثمان عمرو ، ((رسائل الجاحظ)) ، تحقيق عبد السلام هارون ، مكتبة الخانجي ، (القاهرة – ١٩٦٥) ، ٢ / ١٩٤ ؛ الجاحظ : ((ثلاث رسائل)) ، نشرة فنكل ، المطبعة السلفية ، (القاهرة _ ١٩٢٦) ، ص٤٣ .

(٤٦)الجاحظ : (ثلاث رسائل) ، باعتناء فان فلوتن ، (ليدن _ ١٩٠٢) ، ص٤٣ .

(٤٧)ابن النديم : أبو الفرج محمد بن أسحق ، ت (٣٨٥ هـ _ ٩٩٥ م) ، ((الفهرست)) ، نشر مكتبة خياط ، (بيروت _ ١٩٦٤) ، ص١٢٠ – ١٢٤ .

(٤٨)ابن النديم : م . ن ، ص١٢٠ – ١٢٤ ، ١٠٥ .

(٤٩)حجاب : م . س ، ص٣٧٢ .

(٥٠)الأصفهاني : أبو الفرج علي : ت (٣٥٦ هـ _ ٩٦٧ م) ، ((الأغاني)) ، عن مطبعة بولاق ، دار الفكر للجميع ، (بيروت _ ١٩٧٠) ، ٢٠ / ٧٥ – ٧٦ .

(٥١)زاهية قدوره : ((الشعوبية وأثرها الاجتماعي والسياسي في الحياة الإسلامية في العصر العباسي الأول))، دار الكتاب اللبناني ، (بيروت _ ١٩٧٢) ، ص٢٧٥ .

(٥٢)محمد عبد الغني حسن : ((صراع العرب خلال العصور)) ، مطبعة دار العالم العربي ن (القاهرة د.ت)، ص٢٩ .

(٥٣)ياقوت الحموي : شهاب الدين ، ت (٦٢٦ هـ _ ١٢٢٩ م) ، ((معجم الأدباء)) ، د . م، (القاهرة _ ١٩٣٦) ، ١ / ٣٢٢ .

(٥٤)ابن النديم : م . س ، ١٧٥ ، ٣١٥ .

(٥٥)المسعودي : أبو الحسن علي ، ت (٣٤٦ هـ _ ٩٥٦ م) ، ((مروج الذهب ومعادن الجوهر)) ، ط٤ ، د. ن ، (بيروت _ ١٩٨١) ، ٣ / ٣٧١ .

(٥٦)د . فاروق عمر فوزي : ((الجذور التاريخية للوزارة العباسية)) ، دار الشؤون الثقافية العامة ، (بغداد _ ١٩٨٦) ، ص١٢٢ .

(٥٧)جرجي زيدان : م . س ، ٤ / ١٤٤ .

(٥٨)الجهشياري : م . س ، ص٢٣٠ .

(٥٩)م . ن .

(٦٠)م . ن ، ص٢٣٠ – ٢٣١ .

(٦١)م . ن ، ص٢٣١ .

(٦٢)م . ن .

(٦٣)الدوري : م . س ، ص٤٨ .

(٦٤)الجهشياري : م . س ، ص٢٢٩ .

(٦٥)ابن قتيبة : أبو محمد عبد الله : ت (٢٧٦ هـ _ ٨٨٩ م) ، ((المعارف)) ، تحقيق ثروت عكاشة ، مطبعة دار الكتب ، (مصر _ ١٩٦٠) ، ص٣٨٢ .

(٦٦)ابن النديم : م . س ، ص٣٣٨ .

(٦٧)الجهشياري : م . س ، ص٢٠٦ ؛ ابن قتيبة : م . س ، ص٣٨٢ .

(٦٨)ابن قتيبة : ((عيون الأخبار)) ، مطبعة دار الكتب ، (القاهرة _ ١٩٢٥) ، ص٥١ .

(٦٩)م . س ، ق٣ ج١١ / ٦٦٩ .

(٧٠)أبو القاسم علي : ت (٥٧١ هـ _ ١١٧٦ م) ، ((التاريخ الكبير)) ، مطبعة روضة الشام ، (دمشق _ ١٣٣٢ هـ) ، ٥ / ٢٨ .
(٧١)ابن عربي : القاضي أبي بكر ، ت (٥٤٣ هـ _ ١١٤٨ م) ، ((العواصم من القواصم)) ، تحقيق د . عمار طالبي ، مكتبة دار التراث ، (القاهرة _ ١٩٩٧ م) ، ص٦١ – ٦٤ ؛ ابن طباطبا : م . س ، ص٢٣٤ .
(٧٢)((الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري)) ، ترجمة عبد الهادي أبو ريدة ، ط٤ ، دار الكتاب العربي (بيروت _ ١٩٦٧ م) ، ٢ / ٢٠٥ .
(٧٣)ابن كثير : عماد الدين أبو الفدا إسماعيل : ت (٧٧٤ هـ _ ١٣٧٢ م) ، ((البداية والنهاية)) ، مطبعة السعادة ، (مصر _ د . ت) ، ١٠ / ١٨٩ .
(٧٤)الجهشياري : م . س ، ص٢٤٩ – ٢٥٠ .
(٧٥)الاتليدي : م . س ، ص١٣٠ .
(٧٦)الاتليدي : م . ن ، ص١٣١ .
(٧٧)الاتليدي : م . ن ، ص١٣٢ .
(٧٨)الجهشياري : م . س ، ص٢٤٩ .
(٧٩)الجهشياري : م . ن ، ص١٤٦ .
(٨٠)الجهشياري : م . ن ، ص٢٤٣ .
(٨١)الجهشياري : م . ن ، ص١٢٥ .
(٨٢)د. عبد الجبار الجومرد : ((هارون الرشيد)) ، مطبعة دار الكتب ، (بيروت _ ١٩٥٦)، ٢ / ٤٤٣ .
(٨٣)الطبري : م . س ، ق٣ ج١٠ / ٦١٠ .
(٨٤)الجهشياري : م . س ، ص٢١١ ؛ المسعودي : م . س ، ٣ / ٣٥٢ – ٣٥٣ .
(٨٥)م . ن .
(٨٦)الجهشياري : م . ن ، ص٢١٤ .
(٨٧)الطبري : م . س ، ق٣ ج١١ / ٦٤٧ ؛ ابن الأثير : م . س ، ٦ / ١٦١ .
(٨٨)الجومرد : م . س ، ٢ / ٤٥٨ – ٤٥٩، يبدو أن نهج البرامكة المتناغم مع أهداف الشعوبية في اضعاف قوة الدولة العباسية والاستهانة بمنزلة الخلافة بأعتبارها رمزاً للسيادة العربية الإسلامية مسلك أعتمدته هذه الاسرة لبلوغ مبتغاها، ومما يؤيد ذلك ما ذهب اليه بعض الباحثين بقوله: "أنهم كانوا يشجعون الحركات المناوئة للخلافة العباسية ثم يقومون بأخمادها بأنفسهم وذلك لكي ترفع مكانتهم ويكونوا في نظر الخليفة بأنهم هم الوحيدون في ميدان السياسة ولا يمكن الاستغناء عنهم مهما كانت أعمالهم، ويبدو هذا واضحاً في مساعدتهم الثائر العلوي يحيى بن عبد الله"، أنظر : محمد حامد اسماعيل: "البرامكة والشعوبية" رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة الى كلية الاداب / جامعة الموصل، عام ١٩٨٤، ص١٧٢ .
(٨٩)الطبري : م . س ، ق٣ ج١١ أحداث سنة ١٨٦ هـ .
(٩٠)للمزيد من التفاصيل ، الاطلاع على نصي العهود ، لاحظ : اليعقوبي : أحمد بن أبي يعقوب: ت (٢٩٢ هـ _ ٨٩٥ م) ، ((تاريخ اليعقوبي)) ، مطبعة العربي ، (النجف _ ١٩٣٩) ، ٣ / ١٤٧ – ١٥٢ . ما جاء في تعهد الأمين للمأمون يمهد تمزيق وحدة الدولة العباسية ويزرع بذور الشقاق والخلاف بين أفراد الأسرة العباسية .
(٩١)الجهشياري : م . س ، ص٢٢٢ .
(٩٢)المسعودي : م . س ، ٣ / ٣٥٤ .